البروفيسور ماجد الحاج
البروفيسور العزار لشم

عشرة أعوام بعد هجرتهم إلى اسرائيل

اليهود السوفييت :بين الانصهار والتميز الإثني والثقافي*

مقدمة :

بدأت موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي سابقاً إلى اسرائيل العام ١٩٨٩، وحملت معها حتى نهاية العام ١٩٩٩، حوالي ٥٣٨٠٠٠ مهاجر، يشكلون ما يقارب ١٣٪ من مجمل السكان في الدولة أي حوالي ١٥٪ من السكان اليهود.

يهدف هذا البحث، الذي أُجري بعد عشر سنوات من بداية موجة الهجرة المذكورة، إلى دراسة وتقييم الأبعاد المتعددة الجوانب لعملية دمج المهاجرين في المجتمع الإسرائيلي وثقافته، ومدى تأثيرهم الحالي والمستقبلي على الثقافة السياسية والاجتماعية في هذا المجتمع، وإمكانية مساهمتهم في دعم مجتمع مدني متعدد الثقافات.

جاء هذا البحث في إطار استطلاع للآراء من خلال مقابلات شخصية جرت ما بين شهري آب وأيلول ١٩٩٩ في بيوت المهاجرين وشملت سبعمائة وسبعة أشخاص يشكلون عيّنة تمثل السكان البالغين (١٨ سنة وما فوق)، الذين هاجروا إلى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي سابقاً، منذ كانون الثاني ١٩٩٠، وحتى أيلول ١٩٩٩، حيث تصل نسبة الخطأ الاحصائي في هذه العيّنة الى ٣,١٣٪.

معطيات أساسية

يتميز المهاجرون الروس بنزعة إثنية روسية عميقة الجذور وبأنماط ومواقف تختزن العقائد والتقاليد والعادات التي أثّرت على هذه المجموعة خلال فترة النظام السوفييتي. أعرب المستطلعون عن هذه النزعات من

* عن مركز التعددية الثقافية والدراسات التربوية في جامعة حيفا، صدر مؤخراً ملخص لبحث هام أعده البروفيسور ماجد الحاج من جامعة حيفا والبروفيسور العزار لشم من الجامعة العبرية في القدس بعنوان المهاجرون من الاتحاد السوفييتي سابقاً إلى إسرائيل في سنوات التسعين : عشرة أعوام بعد الهجرة . ويأتي هذا البحث ضمن سلسلة أبحاث ودراسات يقوم بها مركز التعددية الثقافية والدراسات التربوية.

ويعكف البروفيسور ماجد الحاج، رئيس المركز، على إعداد البحث الموسع حول هجرة اليهود السوفييت، وسيصدر في العام المقبل.

- ننشر ملخص البحث كما كتبه معداه.

خلال المعطيات التالية بما يلي:

أ • التمسك المتين بالاستمرارية الثقافية ـ الحضارية والحفاظ على الأطر الفردية والجماعية والتنظيمية الاثنية.

أجاب ٩١٪ من الذين جرى استجوابهم أنه من المهم أو المهم جداً أن يعرف أولادهم اللغة الروسية. أما فيما يتعلق بمعرفة الثقافة الروسية، فقد بلغت هذه النسبة ٨٨٪ وأيد ٨٠٪ من المُستجوَبين أهمية استمرار المحافظة على الأطر الثقافية الروسية في إسرائيل. كما أكدّ ٦٦٪ أهمية ضمان وجود الأطر التعليمية غير المنهجية باللغة الروسية، في حين ذكر ٥٧٪ أنه من المهم أو المهم جداً استمرارية إنشاء وإقامة أطر تعليمية رسمية في اللغة الروسية. وأكد ٧٣٪ من الذين جرى معهم الاستفتاء انه من المهم أو المهم جداً وجود الأحزاب السياسية التي يقودها مهاجرون من الاتحاد السوفييتي سابقاً.

أما بالنسبة لانتخابات الكنيست الأخيرة (١٩٩٩)، فقد اتضح ان نسبة التصويت لدى المهاجرين الروس، كانت عالية نسبياً، إذ مارس حق الاقترا ع حوالي ٨٥٪، حيث صوت ٥٧٪ من بينهم إلى أحزاب روسية : (٤١٪ لصالح حزب «يسرائيل بعليا» بقيادة شيرانسكي، و ١٦٪ لصالح «يسرائيل بيتينو» بقيادة ليبرمان).

أما بالنسبة الى انتخابات السلطات المحلية، التي جرت في تشرين الثاني ١٩٩٨، فيبرز التصويت على أساس إثني أيضاً بين المهاجرين، إذ يتضح أن ١١٪ فقط من المستطلعين، الذين مارسوا حق الاقترا ع، قد منحوا أصواتهم إلى قوائم محلية لم تشمل مرشحين من المهاجرين الروس، بينما أدلى ٤٥٪ بأصواتهم لصالح قوائم المهاجرين الروس، كما صوّت ٤٤٪ لصالح قوائم تضم في صفوفها مرشحين من المهاجرين الروس.

ب • تعكس المواقف والأنماط السلوكية لمعظم الذين جرى استجوابهم، صورة عن الازدواجية التي يتميز بها المهاجرون الروس بكل ما يتعلق بسلطة القانون والتشكيك في البيئة الاجتماعية، حيث يُظهر معظم المستطلعين مواقف محافظة متزمتة في ما يتعلق بالقوانين التي تدافع عن حرية الرأي لدى الأفراد. فقد ذكر ٨٤٪ من المستطلعين انه يجب عدم الدفا ع بتاتاً عن حرية الرأي في حالات المساس بأمن الدولة أو رموزها عن طريق تسريب أسرار عسكرية لدولة غريبة، وذكر ٨٣٪ نفس الجواب بالنسبة لاستعمال عبارات من شأنها أن تمس بأمن الدولة وثمة ٧٩٪ غير مستعدين أبداً منح الدفا ع القانوني باسم حرية التعبير لكل من يحرق علم الدولة علناً، في حين يُولي ٤٢٪ فقط أهمية لحرية الصحافة دون رقابة حكومية.

مع ذلك، تُظهر نتائج الاستطلاع تسامحاً نسبياً لدى المهاجرين تجاه أنماط سلوكية لا تدخل ضمن اطار القانون في مجال «جرائم أصحاب الياقات البيضاء».

لقد تم التعبير عن هذا التسامح من خلال مقارنة مواقف المهاجرين مع عيّنة متشابهة من الاسرائيليين (غير المهاجرين من اليهود والعرب) فعلى سبيل المثال، ٣٩٪ من المهاجرين غير مستعدين لإعلام السلطات حول ظاهرة الحصول على «الرشوة» مقابل ١٤٪ فقط من الاسرائيليين عامة. وثمة ٦١٪ من بين المهاجرين من الاتحاد السوفييتي سابقاً، غير مستعدين لإعلام السلطات حول ظاهرة «المحسوبية»، مقابل ٣٢٪ من الإسرائيليين عامة.

تبرز رواسب تأثير النظام السوفييتي السابق بما يتعلق بمفهوم الازدواجية تجاه سلطة القانون وحرية التعبير للأفراد من خلال معطيات تشير الى أن ٨٧٪ من المهاجرين يشعرون بمطلق الحرية للتعبير عما يفكرون به في بيوتهم وبين أفراد العائلة بالمقارنة مع ٣٩٪ من الذين يشعرون بهذه الحرية في مكان العمل، بينما يشعر ٢٩٪ بمثل هذه الحرية في الاجتماعات العامة، و٢٦٪ فقط في مكان العمل وبحضور الموظف المسؤول.

مجموعة متبلورة ومنغلقة

يشكل المهاجرون الروس، بالرغم من مرور عشر سنوات على بداية موجة الهجرة من الاتحاد السوفييتي سابقاً، مجموعة اجتماعية متبلورة ذات خصوصيات ثقافية واجتماعية منغلقة خارجياً بالنسبة لعلاقاتها الإجتماعية مع المجموعات الأخرى في المجتمع الاسرائيلي تشير الأغلبية الساحقة من الذين جرت مقابلتهم (٨٤٪)، بأنهم يسكنون في أحياء يشكل فيها المهاجرون الروس ثلث السكان أو أكثر. وذكر ٧١٪ انه لا يوجد بين أقرب خمسة أصدقاء لهم أي صديق من الإسرائيليين القدامى، بينما أكد ٦٦٪ منهم أن جميع أقرب أصدقائهم الخمسة هم من المهاجرين من الاتحاد السوفييتي سابقاً.

إن اللقاء مع الإسرائيليين القدامى يتم في الأساس في أماكن العمل، حيث يلتقي ٦٠٪ منهم خلال فترات متقاربة أو متقاربة جداً، بينما يلتقي ٥٦٪ من بينهم مع الإسرائيليين القدامى وعلى نفس الوتيرة في أحيائهم السكنية، أما وتيرة اللقاءات الاجتماعية بين المهاجرين والإسرائيليين فهي محدودة، حيث ان نسبة الذين يلتقون مع الإسرائيليين القدامى خلال فترات متقاربة أو متقاربة جداً، ضئيلة للغاية، لا تتعدى ١٩٪ في اطار التعليم و ١٨٪ في الاطار الاجتماعي، أما اللقاء في الاطار العائلي فيصل الى ١١٪ فقط.

أبدى ٦٥٪ من المهاجرين الذين جرى استطلاعهم رضى قليلاً أو قليلاً

جداً من علاقاتهم الاجتماعية مع الإسرائيليين القدامى من ضمنهم عبّر ٣٣٪، عن رضى قليل جداً، في حين يعتقد ٦١٪ من هؤلاء المهاجرين أن علاقتهم مع الإسرائيليين القدامى تتسم باستغلال الآخرين لهم (٣٤٪ منهم قالوا إنهم راضون الى حد كبير، و ٢٧٪ قالوا إلى حد كبير جداً).

إن شبكة علاقات المهاجرين الروس الاجتماعية ليست وحدها المحدودة والمقيدة، إذ ان مصادر المعلومات التي يطلعون عليها محدودة أيضاً: ٧٧٪ من المستطلعين يشاهدون بشكل ثابت محطات الكوابل والتلفزة التي تبث برامجها من روسيا، وذلك مقابل ٢٥٪ ممن يشاهدون التلفزيون الإسرائيلي باللغة العبرية بشكل ثابت، كما يستمع ٤٠٪ من المهاجرين الروس وبشكل ثابت لبث راديو «ريكع» باللغة الروسية في إسرائيل، مقابل ٢١٪ منهم يستمعون وبشكل ثابت لمحطات الراديو الإسرائيلية، التي تبث في اللغة العبرية.

ثمة ٦٠٪ من المستجوبين يقرأون بشكل ثابت الصحافة التي تصدر باللغة الروسية مقابل ٩٪ فقط ممن يقرأون الصحافة العبرية في اسرائيل.

يهود سوفييت أكثر من إسرائيليين

أما في ما يتعلق بأنماط الهوية لدى المهاجرين فيشعر ٧٨٪ الى حد كبير أو كبير جداً بأن الهوية اليهودية تعبّر عنهم. وثمة ٦٦٪ يُبدون نفس الشعور بالنسبة للهوية الإثنية، أي «يهود من الاتحاد السوفييتي سابقا» ويشعر ٦٩٪ انهم «مهاجرون من الاتحاد السوفييتي سابقاً»، في حين يشعر ٢١٪ فقط بأن الهوية الصهيونية تعبر عنهم الى حد كبير أو كبير جداً، بينما أجاب ٤٤٪ نفس الجواب بالنسبة للهوية الإسرائيلية، ليندرج هذا الشعور في اطار الموقف الوسط.

تجدر الإشارة الى أن الهوية اليهودية لدى الغالبية المطلقة للمهاجرين لا تحمل في ثناياها في معظم الحالات مفهوماً دينياً، انما هي هوية يهودية علمانية، واضحة المعالم، تتناقض كلياً مع المفاهيم الدينية السائدة في مجالات حياتية أساسية في إسرائيل.

رفض ٧٤٪ من مجمل المستجوَبين ان تكون دولة اسرائيل ذات طابع ديني يهودي، رغم انها تُعرّف كدولة لليهود. وثمة ٧٨٪ منهم يعتقدون بوجوب الغاء أو تقليص القوانين الدينية المعمول بها في اسرائيل. تنعكس النزعة العلمانية لدى المهاجرين الروس وبشكل خاص في المواضيع التالية ذات الصلة بعلاقة الدين والدولة. كما تم تعريفها في القانون الاسرائيلي.

يوافق ٩٣٪ من المستجوبين الى حد أقصى بأن تسمح اسرائيل بالزواج والطلاق المدني.

كما يعتقد ٨٨٪ انه من حق الانسان الذي يُعرّف نفسه يهودياً. حتى وإن لم يكن كذلك حسب الشريعة اليهودية)الهلاخا(، بأن يُدفن في مقبرة يهودية. وثمة ٨١٪ من المهاجرين يعتقدون بوجوب السماح بفتح المحلات التجارية أيام السبت، وهناك ٦٩٪ يؤيدون حرية الإتجار الحر بلحم الخنزير.

تجدر الاشارة الى ان النزعة العلمانية لدى المهاجرين ليست ناتجة عن رؤيا علمانية ـ مدنية شاملة ومتسامحة، ترتكز على التعددية، انما هي محدودة بالأساس للنقاش الداخلي الذي يدور بين الجمهور اليهودي في البلاد بالنسبة لعلاقة الدين والدولة.

تتماشى النزعة العلمانية البارزة لدى المهاجرين مع مواقف سياسية متشددة تجاه مبدأ الأرض مقابل السلام، إذ إن ٢٥٪ منهم فقط على استعداد للتنازل عن هضبة الجولان مقابل السلام الكامل مع سوريا (٨٪ فقط على استعداد لإعادة هضبة الجولان بكاملها، بينما ١٧٪ على استعداد للتنازل عن جزء صغير فقط من هضبة الجولان).

يتبين كذلك أن ٣٧٪ مستعدون لإعادة مناطق مقابل السلام الكامل مع الفلسطينيين، (يبدي ١١٪ فقط استعدادهم لإعادة المناطق الفلسطينية بكاملها أو أجزاء كبيرة منها بينما نجد أن ٢٦٪ على استعداد لإعادة جزء صغير من المناطق مقابل سلام مع الفلسطينيين).

من الجدير بالذكر، ان معارضة معظم المهاجرين البارزة لإعادة مناطق في الضفة وقطاع غزة أو هضبة الجولان، لا تنعكس في أنماط تصويتهم للكنيست، إذ إن ٣٤٪ فقط من بين المصوتين للكنيست أكدوا أنهم منحوا أصواتهم لأحزاب قومية يمينية، (١٦٪ يسرائيل بيتينو، ١٤٪ ليكود، ٣٪ أحزاب دينية و ١٪ لأحزاب أخرى)، وقد صوت ٣٩٪ من بينهم لصالح نتنياهو.

راضون من السكن . . . يتذمرون من «المعاش»

تشير المعطيات الى ان هناك رضى كبيراً جداً بين المهاجرين من مسألة استيعابهم في اسرائيل. ٧٩٪ راضين إلى راضين جداً عن استيعابهم (١٠٪ راضين جداً، و ٦٩٪ راضون)، وأجاب ٦٠٪ من المستجوَبين أنهم متأكدون من بقائهم في إسرائيل، من بينهم ١٦٪ متأكدون للغاية، كما يشير ٥٣٪ من بينهم أنهم يشعرون في اسرائيل كما في «البيت» إلا أن ٣٤٪ منهم يشعرون بذلك إلى حد معين.

يُبدي المهاجرون أكبر قدر من الرضى في مجال الإسكان، إذ يعرب ٦٠٪ منهم عن رضاهم الكبير في هذا المجال (١٩٪ رضى كبير جداً، ٤١٪ رضى كبير)، إذ إن ٦٤٪ من المهاجرين وعائلاتهم يحظون بالسكن الدائم، إما من

خلال الملكية أو الاستئجار من القطاع العام.

وعلى الرغم من ذلك، يُبدي قطاع كبير من المهاجرين تذمراً شديداً من الضائقة الإقتصادية التي تحيط بهم، وهبوط مكانتهم الاجتماعية ـ الاقتصادية نتيجة لهجرتهم، حيث أشار ٦٧٪ من المستطلعين أن دخلهم يكفي بصعوبة لتغطية قسم صغير من احتياجاتهم أو أنه لا يكفي كلياً، (ذكر ٢٤٪ منهم أنه لا يكفي بتاتاً).

يُدرج ٥١٪ من المهاجرين أنفسهم في اسرائيل مع مستوى الطبقة الوسطى المنخفضة، أو مع مستوى الطبقة الدنيا، (٢٤٪ في مستوى الطبقة الدنيا). وفي المقارنة مع الاتحاد السوفييتي سابقاً، يقول ٦٪ فقط من بين المهاجرين انهم كانوا ينتمون لهاتين الطبقتين، (٤٪ للطبقة الوسطى ـ المنخفضة و ٢٪ للطبقة الدنيا).

وتجدر الإشارة إلى أن المكانة الإجتماعية في البلاد، ترتفع مع الأقدمية والتمكن من اللغة العبرية لدى المهاجرين، بينما تنخفض هذه المكانة مع ازدياد أعمار المهاجرين. أي أنه كلما كان المهاجر أصغر عمراً، طالت سنوات اقامته في البلاد وكلما زاد تمكنه من اللغة العبرية، ازداد شعوره بالانتماء إلى طبقة أعلى.

نظرة فوقية على الاسرائيليين .. واستعلاء على الشرقيين

اختار المهاجرون الروس موقفهم من المجموعات المختلفة في المجتمع الإسرائيلي من خلال اعتبارات ثقافية، وإثنية وقومية. لذا نجدهم يُدرجون مدى قربهم من هذه المجموعات حسب الترتيب التالي (من الأقرب إلى الأبعد):

اليهود العلمانيون ـ الاشكناز؛ السفاراديم وابناء الطوائف الشرقية، اليهود المتدينون، المهاجرون الاثيوبيون؛ العرب. وعليه تشير المعطيات بأن المهاجرين يشعرون تجاه العرب في إسرائيل بأكبر بعد اجتماعي في شتى المجالات: ٨٪ فقط من المهاجرين مستعدون أو مستعدون جداً بأن يتزوج أولادهم من العرب، ١٨٪ فقط على استعداد لقبول العرب جيراناً لهم،

٢٣٪ فقط يقبلون ان يكون العرب أصدقاء لأولادهم وثمة ٢٩٪ فقط مستعدون أو مستعدون جداً لقبول العرب مسؤولين عنهم في أماكن العمل.

إن نظرة المهاجرين الروس إلى المجتمع الإسرائيلي نظرة فوقية بشكل عام. يقيّم المهاجرون من الاتحاد السوفييتي سابقاً تأثيرهم على المجتمع الإسرائيلي بأنه ايجابي إلى حد بعيد، يفوق كثيراً تأثير المجتمع الإسرائيلي عليهم ويبرز هذا التفوق في المجالات التالية:

يعتبر ٨٨٪ من المهاجرين تأثيرهم في مضمار الحياة الثقافية الاسرائيلية ايجابياً أو ايجابياً جداً. أما في مضمار العلوم والتكنولوجيا فتصل هذه النسبة الى ٨٦٪ وفي مجال النمو الاقتصادي ٨٦٪، أما في الحياة السياسية فالنسبة ٧٥٪، ويرى المهاجرون تأثيرهم الإيجابي أو الإيجابي جداً حتى في المجال الأمني ٦٤٪.

أما المجال الوحيد الذي يعتقد المهاجرون أن تأثيرهم فيه على المجتمع الإسرائيلي سلبي إلى حد بعيد فينحصر في مجال الاجرام والجنوح، إذ يعتقد ٤٩٪ من المهاجرين، ان تأثيرهم في هذا المجال سلبي أو سلبي جداً على المجتمع الإسرائيلي.

أكد ٢٦٪ من المهاجرين الذين جرى استجوابهم انهم ليسوا يهوداً حسب الشريعة اليهودية (الهلاخا)، بما في ذلك اليهود المتزوجون من غير اليهود في اطار الزواج المختلط.

كان حجم هذه المجموعة ضئيلاً نسبياً في بداية موجه الهجره بين العام ١٩٩٠ والعام ١٩٩٤، حيث ذكر ٢٠٪ منهم انهم من غير اليهود. إلا أن هذه النسبة ارتفعت الى ٤١٪ خلال السنوات ١٩٩٥ و ١٩٩٩.

اعتمد غير اليهود في دخولهم إلى إسرائيل على صلة القرابة العائلية مع اليهود، كما ينص عليه قانون العودة. إلا أن الصلة بالهوية اليهودية، كما تم التعبير عنها من قبل المهاجرين غير اليهود، الذين تم استجوابهم قوية. حيث تشير النتائج الى وجود مجموعة لا يستهان بها من غير اليهود، تُبدي التزاماً قوياً بالهوية اليهودية، مع أن الالتزام اليهودي لدى هذه المجموعة أقل بكثير من الالتزام الذي يبديه المهاجرون ذوو الأصل اليهودي حسب (الهلاخا)، إذ يتماثل ٨٩٪ من هؤلاء المستطلعين مع الهوية اليهودية إلى حد كبير أو كبير جداً، مقابل ٥٧٪ لدى غير اليهود. يذكر ٨١٪ من اليهود أنهم لو وُلدوا من جديد لاختاروا أن يُولدوا يهوداً حسب الشريعة اليهودية، مقارنة الى ٦٥٪ من غير اليهود.

كما تختلف المجموعتان بما يتعلق بتأكيد بقائهم في اسرائيل، وبالنسبة لشعورهم «في البيت» في اسرائيل ورغبتهم في الشعور بأنهم جزء من المجتمع الإسرائيلي، وكذلك الأمر بالنسبة لرضاهم العام من استيعابهم في اسرائيل، إذ إن النسبة في شتى المجالات أعلى بكثير لدى اليهود مقارنة مع غير اليهود.

* ملاحظة: تم تقريب النسب إلى عدد كامل، المعطيات الدقيقة موجودة في التقرير الموسع للبحث.